جهود المُحدِّثين في التّأريخ للآراء الكلاميّة.

بقلم:
الدكتور الياسين بن عمراوي

أستاذ السنة وعلومها بقسم الكتاب والسنة
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة _
البريد الالكتروني والمهني: y.benamraoui@univ-emir.dz/ yacineproff@gmail.com

ورقة بحثية للمشاركة في الملتقى الوطني الموسوم بـ:

الحدث التاريخي ودوره في تشكل الآراء الكلامية.

يوم:2023/11/14م

كلية أصول الدين
قسم العقيدة ومقارنة الأديان.
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية _ قسنطينة _

العنوان: جهود المحدّثين في التأريخ للآراء الكلاميّة.

Title:* The Efforts of Hadith Scholars in Documenting Theological Opinions

الملخص: البحث يتناول حديثا عن منهج المحدّثين في التأريخ لأراء المتكلمين من مختلف الفرق خاصة الجهمية والمعتزلة، مع النظر في سمات وخصائص هذا المنهج، خاصة ما عرف عن أئمة الحديث من الدقة والعناية التامة بالأسانيد وعلوها في نقل كلام الناس، وكيف تعاملوا معتلكم الأراء والمعتقدات نقلا وتوصيفا ونقدا، ليخلص البحث إلى بيان تميز منهج المحدثين في النقل والتوثيق، مع الأمانة التامة في ذلك، والانصاف في نقد الأراء والمعتقدات المخالفة للسنة النبوية.

Abstract: This research discusses the methodology of Hadith scholars in documenting the theological opinions of various sects, particularly the Jahmiyya and the Mu'tazila. It examines the features and characteristics of this methodology, especially the well-known precision and meticulous attention to the chains of narration exhibited by the Imams of Hadith. The study explores how they dealt with the opinions and beliefs of different groups through transmission, description, and criticism. The research concludes by highlighting the distinctive approach of Hadith scholars in accurate transmission and documentation, maintaining complete integrity, and fairness in critiquing opinions and beliefs contrary to the Prophetic Sunnah.

الكلمات المفتاحية: المحدّثون، الأراء الكلامية، التاريخ، النقد، المعتزلة والجهمية.

Keywords: Hadith scholars, theological opinions, documentation, criticism, Mu'tazila and Jahmiyya.

مقدمة: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه الكريم وبعد:

لقد اعتني أهل الإسلام خاصة المتقدمين منهم بتدوين ونقل كلام أهل العلم من المحدثين والمفسرين والمتكلمين وأهل العقائد، وممن كانت لهم العناية الفائقة في هذا الباب المحدّثون، فقد حفظوا لنا الكثير من كلام المتكلمين من مختلف الفرق، بل نقلوها ونقدوا ما يجب أن ينتقد منها، لأن بعض كتب المتكلمين فقدت ولم يحفظ منها إلا النزر اليسير، ومع حرص المحدّثين ودقة نقلهم وحفاظهم على نصوص وأراء أهل الكلام والفلاسفة، وذلك خلال اعتراضاتهم على مقولات تلك الفرق أو تصحيحها أو نقدها بميزان الشرع لسعة اطلاعهم على نصوص الوحيين،

ولقد تعددت مسالك أئمة الحديث في التأريخ لكلام نظار وأرباب الكلام من أصحاب الفرق، خاصة الجهمية ومن شاكلهم في المعتقد، مما يستدعي ويسترعي أقلام الباحثين للنظر في جهود المحدّثين في خدمة تراث أئمة الكلام، ونقله ثم النظر فيه اعتبارا أو نقدا وتمحيصا.

وكان الباعث على اختيار هذا العنوان جملة أسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

- عدم وجود دراسة أو مقال يعنى ببيان جهود المحدثين في رصد والتأريخ لأراء المتكلمين ومناظراتهم.
- وجود دعوى تحامل أئمة الحديث على المتكلمين والطعن فيهم مطلقا من غير تمحيص ونظر في صحة مقالاتهم.
- عناية أرباب المقالات وأهل الكلام المتأخرين بنقل آراء هذه الطوائف من كتب الملل والنحل خاصة، دون النظر في كتب المحدّثين.
- وكان الباعث الاسمى هو العناية بما كتب ودون عن طائفة معينة – الجهمية – عند المحدثين في هذا البحث مزيد اختصاصهم بنقل آرائهم لذهاب كتبهم كما سبق شرحه، ورغبة من الباحث في التمثيل بها خشية الطول الذي يذهب فائدة البحث وهدفه البارز.

ومن هنا تظهر اشكالية البحث المتعلقة أساسا **بمدى اهتمام المحدّثين بآراء المتكلمين وأهل الفرق الإسلامية نقلا وتوثيقا؟ وكيف كان دورهم في التأريخ لها والنظر فيها؟ وما هي مسالكهم في ذلك؟ وما حاجتهم في نقل تلك الآراء والمقالات؟ وكيف كان موقفهم منها؟ وما هي أشهر مصنفات المحدثين التي رصدت ونقلت آراء المتكلمين؟**. هذه الاشكالات وغيرها يحاول البحث الإجابة عنه .

وكان الهدف من دراسة هذا الموضوع أشياء يصبو إليها الباحث منها:

- الوقوف على جهود المحدثين في رصد والتأريخ لأراء المتكلمين والفلاسفة والنظار والعباد وغيرهم.
- دفع شبه ودعاوى الناس في تحامل المحدثين على غيرهم ممن خالفهم.
- حصر وجمع مؤلفات المحدثين التي تعنى بنقل كلام المتكلمين سواء كانت عامة أو خاصة، ككتبهم في العقائد والملل، أو كتب الردود والمناظرات.
- استثمار جهود المحدثين في نقد وتمحيص الأخبار والروايات التي لا تصح عن المتكلمين، ومعرفة طريقته في النظر والاعتبار والنقد.

أما الدراسات السابقة، فلم أقف – فيما أعلم- على رسالة أو كتاب أو مقال علمي يُعنى بالجانب المذكور في هذه الورقة العلميّة.

ولبحث هذا الموضوع وإشكالاته قسّمت هذه الورقة إلى مقدمة ومحورين اثنين وخاتمة:

مقدمة: في التعريف بالموضوع وأهدافه وإشكالاته، وأسباب بحثه..

المحور الأول: تصنيف الكتب والمؤلفات لتدوين كلام الفرق الكلامية الإسلامية.

المحور الثاني: التأريخ لآراء المتكلمين في كتب التّراجم والسير عند المحدثين.

خاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

جهود المُحدّثين في التّأريخ للآراء الكلامية:

المحور الأول: تصنيف الكتب والمؤلفات لتدوين كلام الفرق الكلامية الإسلامية: كان المحدثون من السابقين الأولين في تدوين ونقل الكلام في العقائد سواء تعلق الأمر بتقرير العقيدة الصحيحة، أو حكاية العقائد الباطلة ثم ردها ونقضها، فجاءت تآليفهم على أنواع وأصناف عدة يمكن إجمالها فيما يأتي:

1- مصنفات ومؤلفات خاصة بالنقل عن المتكلمين ونقض كلام فرق معينة كالجهمية، والروافض، والقدرية، والمعتزلة وغيرها، وهذه والتي بعدها هي كالأنساب لتلك المقولات والنحل التي ذكرها أهلها ودعوا إليها، خاصة أن مصنّفات نظّار بعض الفرق الكلامية كالجهمية قد فقدت، وإنما اشتهرت مقولاتهم في كتب المخالفين لهم، وبعض كلامهم تناقلته مصنفات المحدّثين في كتب التّراجم والعقائد والملل والنحل، ومن تلكم الكتب والدواوين:

أ- **الرد على الجهمية والزنادقة**[1]: أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، ولعل كتابه هذا أوسع كتب المحدثين الذين نقلوا مقولة الزنادقة والجهمية، وربط بين كلامه هؤلاء وأولئك فإنها من مورد واحد، وبين كيف تأثر الجهمية بمقولة الزنادقة لما ناظرهم وسمع مقولتهم، مما أدى بهم إلى مخالفة جماعة المسلمين من أهل القبلة[2]، فقد أورد عنهم جملة من المسائل هي من أصول

[1] – تكلم بعض الحفاظ المتأخرين في صحة نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه، بسبب الجهالة في إسناد الموصل إليه، لكن استفاضت شهرته عن الإمام أحمد ونقل عنه من هذا الكتاب جماعة من الأئمة. وتحرير المسألة في موضع آخر إن شاء الله.

[2] – ينظر: ص93 وما بعدها.

مذهبهم: كخلق القرآن، وتسميته ب"الشيء" وأنه "محدث"[3]، وجحودهم الرؤية[4]، وتكليم الله لموسى[5]، وإنكارهم الاستواء[6]، وقولهم إن الله في كل مكان[7]،...

ب- **خلق أفعال العباد** : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هـ): وقد ذكر في الكتاب أبوابا عدة في الرد على الجهمية المعطلة، وسماها كذلك[8]. فذكر مقولتهم في: تعطيل صفات الرحمن، والقول بخلق القرآن، وقرر خلق أفعال العباد دون خلق القرآن[9].

ت- **الرد على الجهمية**: لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي (المتوفى: 280هـ): قال رحمه الله وهو يتكلم عن أول من أحيا مقولة المشركين في الإسلام[10] :" كان أول من أظهر شيئا منه بعد كفار قريش: الجعد بن درهم بالبصرة، وجهم بخراسان، اقتداء بكفار قريش، فقتل الله جهما شر قتلة، وأما الجعد فأخذه خالد بن عبد الله القسري فذبحه ذبحا بواسط، في يوم الأضحى على رؤوس من شهد العيد معه من المسلمين، لا يعيبه به عائب ولا يطعن عليه طاعن بل استحسنوا ذلك من فعله، وصوبوه من رأيه"[11].

ولعل الدارمي أول من فصل في نقل مقولة هذه الطائفة في حين أن أحمد والبخاري نبهوا وذكروا مقولتهم مختصرة، لذا نجد أبا سعيد نقل نصوصهم الطويلة في تقريرهم مذهبهم ومن أمثلة ذلك مقولتهم في علم الله تعالى حيث قالوا فيما نقله عنه:" ثم قالوا – الجهمية –: ما نقول

[3] – ينظر: ص: 101-115-125.

[4] – ينظر ص 129.

[5] – ينظر ص 135.

[6] – ينظر ص 142.

[7] – ينظر ص 144.

[8] – ينظر: ص 159.

[9] – ينظر: ص 4-5-35-42- وما بعدها.

[10] – قال الدارمي "فكما أنه ليس كمثله شيء فليس ككلامه كلام. فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوا الناس إلى الله وإلى كتابه وكلامه سرا وجهرا، محتملا لما ناله من أذاهم، صابرا عليه حتى أظهره الله وأعزه، وأنزل عليه نصره، فضرب وجوه العرب والعجم بالسيوف، حتى ذلوا ودانوا، ودخلوا في الإسلام طوعا وكرها، واستقاموا حياته وبعد وفاته، لا يجترئ كافر ولا منافق متعوذ بالإسلام أن يظهر ما في نفسه من الكفر وإنكار النبوة، فرقا من السيف، وتخوفا من الافتضاح بل كانوا يتقلبون مع المسلمين بغم، ويعيشون فيهم على رغم، دهرا من الدهر، وزمانا من الزمان...". ص 21، قال هذا الكلام قبل ما تقدم تقريره عنه.

[11] _ مقدمة المصنف ص21.

إن الله من فوق عرشه يعلم ما في الأرض، ولكن علم الله هو الله بزعمهم، والله بزعمهم في كل مكان، ليس له علم به يعلم، ولا هو يسمع بسمع، ولا يبصر ببصر، إنما سمعه وبصره وعلمه بزعمهم شيء واحد، فلا السمع عندهم غير البصر، ولا البصر غير السمع، ولا العلم غير البصر، هو كله بزعمهم سمع وبصر وعلم، وهو بكليته في كل مكان، إن علم علم بكله، وإن سمع سمع بكله، وإن رأى رأى بكله، ويزعمون أن علم الله بمنزلة النظر والمشاهدة، لا يعلم بالشيء حتى يكون، فإذا كان الشيء علم به علم كينونته، لا بعلم لم يزل في نفسه قبل كينونته، ولكن إذا حدث الشيء كان هو عند الشيء، ومعه الشيء بنفسه، فإن أراد ذلك الشيء، كان هو يدل الشيء بزعمهم من مكانه، فذلك إحاطة علم الله بالأشياء عندهم، لا أن يكون علم بشيء منها في نفسه قبل كينونته، فتبارك الله رب العالمين، وتعالى عما يصفون"[12]. ثم أخذ في رد هذه المقولة بحجج عقلية ونقلية.

ونجد الدارمي ينقل مقالاتهم من خلال مناظرته لهم، إذ سمع منهم تلك الآراء الكلامية ودوّنها في كتابه فهو الأصل الأول والمصدر الأساس في التأريخ لها، حيث عاصر كبراءهم ورؤوس مذهبهم وناظرهم واحتج عليهم بأدلة نقلية وعقلية بعد سياقه كلامهم، ومما يدل على ذلك قوله:" فادعت هذه العصابة أنهم يؤمنون بالعرش ويقرون به، لأنه مذكور في القرآن، **فقلت لبعضهم: ما إيمانكم به** إلا كإيمان: {الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم} [المائدة: 41] . وكالذين {إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما [ص:33] نحن مستهزءون} . **أتقرون أن لله عرشا معلوما** موصوفا فوق السماء السابعة، تحمله الملائكة، والله فوق كما وصف نفسه، بائن من خلقه؟ **فأبى أن يقر به كذلك، وتردد في الجواب، وخلط ولم يصرح،** قال أبو سعيد: **فقال لي زعيم منهم كبير: لا**، ولكن لما خلق الله الخلق، يعني السموات والأرض وما فيهن، سمى ذلك كله عرشا له، واستوى على جميع ذلك كله. قلت: لم تدعوا من إنكار العرش والتكذيب به غاية، وقد أحاطت بكم الحجج من حيث لا تدرون، وهو تصديق ما قلنا إن إيمانكم به كإيمان {الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم} [المائدة: 41] ...."[13].

فهذه الألفاظ لا تحتمل النقل من كتبهم أو بواسطة إنما هي بالإسناد العالي المتصل عنهم، لأن أول ما ظهرت هذه النحلة كانت بخراسان[14]، والدارمي من هراة الخراسانية[15] أي هو بلديهم أعرف الناس بهم وبآرائهم ومعتقداتهم الكلامية.

[12] – ص130.

[13] – ص: 32.

[14] – الأنساب للسمعاني: (3/ 437) تاريخ الإسلام للذهبي: (3/ 389)

ث- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله – عز وجل – من التوحيد: لأبي سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي (المتوفى: 280هـ): **وهذا الكتاب ألفه بعد الأول المتقدم ذكره، فإنه ذكر في المقدمة أنه حين رد على الجهمية وفضح أباطيلهم، من غير أن يسميهم بأسمائهم مبالغة في التستر عليهم لأن المقصد هو نقض القول، عارضه معارض على الطعن فيهم بكلام بشر المريسي فانتدب للرد عليهم مرة أخرى** فقال:" فبحسب امرئ من الخيبة والحرمان، وفضحه في الكور والبلدان؛ أن يكون إمامه في توحيد الله تعالى بشر بن غياث المريسي، الملحد في أسماء الله، المفتري، المعطل لصفات ربه، الجهمي، أنشأ هذا المعارض يحكي في كتاب له عن المريسي من أنواع الضلال وشنيع المقال والحجج المحال."[16].

ثم سرد مقالاتهم ونقضها جملة جملة، وقد اتفقوا جميعا على نقلها عنهم منها ما تقدم ذكره وبيانه وحكايته عن الإمام أحمد ، والبخاري[17] ، والدارمي، وأشهرها ها هنا عن أبي سعيد في هذا الكتاب المسائل الآتية: تأويل صفات رب العالمين والقول بأنها استعارة مخلوقة[18]، إنكار النزول[19]، والعرش[20] ، رد الآثار الثابتة في الغيبيات[21]، إنكار بعض الصفات لرب العالمين[22].

وهذا لا يعني أن الدارمي فقط من ناظر بشرا المريسي وأصحابه ونقض عليه مذهبه، فيتهم الدارمي بالتحامل عليه والزيادة في كلامه، بل فعل ذلك جماعة منهم:

قال منصور بن عمار: قال كتب إلي بشر المريسي يسألني عن القرآن خالق أو مخلوق فكتبت إليه بسم الله الرحمن الرحيم عافانا الله وإياك من كل فتنة وجعلنا وإياك من أهل السنة فإنه إن يفعل فأعظم بها منة وإلا فهي المهلكة وليس لأحد عند الله بعد المرسلين حجة ونحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة اشترك فيها السائل والمجيب فتعاطي السائل ما ليس له وتكلف المجيب ما ليس عليه وما أعرف خالقا

---

[15] – تاريخ الإسلام : (6/ 574)

[16] – النقض على بشر المريسي:ص42.

[17] – وكذلك نقل ابن حجر في الفتح بعض أقوال الجهمية عن ابن أبي حاتم الرازي في كتابه :"الرد على الجهمية" الذي يعد أحد المصادر القديمة في النقل، ينظر الفتح:345/13

[18] – ص: 47.

[19] – ص: 69.

[20] – ص: 76-152

[21] – ص:230.

[22] – ص: 300.

إلا الله وما دون الله مخلوق والقرآن كلام الله ولو كان القرآن مخلوقا لم يكن للذين وعوه إلى الله شافعا"[23].

ج- **الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة:** للإمام أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكاتب الدينوري213 – 276 هـ: فقد نقل كلام القدرية، ونفاته، والمشبهة ، والمعطلة، والروافض، والمعتزلة وغيرهم، ثم رد عليهم تلك المقالات في تبويبات خاصة.

ح- ولعل الإمام عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي الكناني المتوفى سنة 240 هـ، أول من نقل ورد وناظر بشرا المريسي في حضرة الأمير المأمون وقد نقل تفاصيل ذلك في كتابه "الحيدة و الاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن"[24] .

2- **كتب خاصة بتقرير العقيدة الصحيحة** المبثوثة في الكتاب والسنة والمنقولة عن الصحابة والأئمة المتبوعين؛ وهي كالأجزاء الحديثية تروي عقائد المسلم بأسانيد عن مصدرها، وضمنها مادة علمية تحكي مقالات المتكلمين عن نظار وأرباب المذاهب العقدية والفكرية الإسلامية أحيانا، وقد صنفها أئمة اتفق أهل الإسلام على جلالتهم وعلو مكانتهم و كعبهم في الأصلين القرآن والسنة ، مع سعة اطلاعهم على الآثار عن الصحابة والتابعين ، بل ويرون ذلك كله بأسانيد لأنفسهم إليهم، مع شدة تحريهم ودقة استقصائهم، مع الزهد التام والورع الدقيق، والمعرفة التامة بآراء المتكلمين والفرق، ومن أمثلة ذلك : خلق أفعال العباد، للإمام البخاري، الذي تقدم ذكره، ومنها أيضا:

أ/ الإيمان: للقاسم بن سلام: ومن جملة ما نقله قوله:" فقالت الجهمية: الإيمان معرفة الله بالقلب، وإن لم يكن معها شهادة لسان، ولا إقرار بنبوة، ولا شيء من أداء الفرائض احتجوا في ذلك بإيمان الملائكة، فقالوا: قد كانوا مؤمنين قبل أن يخلق الله الرسل وقالت المعتزلة: الإيمان بالقلب واللسان مع اجتناب الكبائر، فمن قارف شيئا كبيرا زال عنه الإيمان، ولم يلحق بالكفر ، فسمي: فاسقا ، ليس بمؤمن ولا كافر

[23] - الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي (8/ 130). وممن ناظر ونقل خبر بشرا المريسي : عباد بن العوام وغيره، ينظر الإرشاد في معرفة علماء الحديث، للخليلي: (3/ 829) تاريخ دمشق، لابن عساكر: (33/ 333)؛ فقد طول ترجمته ونقل أخبار في القرآن والإيمان، وكل هؤلاء من أيان المحدثين في زمنهم.

[24] – ينظر: الحيدة، ص، 3.وص11–12، فقد صرح بمناظرته له في مجلس أمير المؤمنين.

، إلا أن أحكام الإيمان جارية عليه..."[25]. ثم ساق أخبارا وآثارا تدل على خلاف ما ذهبت إليه هذه الطوائف.

ب- العقيدة رواية أبي بكر الخلال: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): نقل فيه مجمل اعتقاد الإمام أحمد[26]، وما يتعلق بالصفات، والقدر ، والملائكة، وغيرها من أصول المسائل، فهذا التقرير لعقيدة المؤمن؛ كأنه يرى ما يخالف ذلك إنما هو من مقولات المتكلمين وأهل المذاهب العقدية كالجهمية والمعتزلة والروافض وغيرها.

ت/ كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة [223هـ - 311هـ]: وقد حوى الكتاب فصولا وأصول المسائل الواجب اعتقادها، وهي اثبات النفس لله، والعرش، والعلم، والوجه، وغيرها، قال رحمه الله:" كنت أسمع من بعض أحداث طلاب العلم والحديث ممن لعله كان يحضر بعض مجالس أهل الزيغ والضلالة من المعطلة والقدرية المعتزلة ما تخوفت أن يميل بعضهم عن الحق والصواب من القول إلى البهت والضلال في هذين الجنسين من العلم فاحتسبت في تصنيف كتاب يجمع هذين الجنسين من العلم بإثبات القول بالقضاء السابق والمقادير النافذة قبل حدوث كسب العباد والإيمان بجميع صفات الرحمن الخالق جلا وعلا .."[27]، ثم ذكر أحاديث وآثارا في الأبواب تفصيلا، لكن ضمه أيضا كلام المتكلمين خاصة الجهمية منهم وساقه وفسره ثم أبطله ونقضه.[28]

ث_ عقائد السلف: أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: 395هـ)، وهو أصل في ذكر العاقد المخالفة لمذهب الجهمية وغيرهم من المعطلة، فذكر أبوابا كثيرا ضمنها أحديث وآثارا عن النبي المختار والصحابة الأخيار في إثبات المعتقد الصحيح.

3- **وضع تبويبات صريحة في حكاية أو نقد مقالات المتكلمين:** كما فعل أبو داود في السنن قال: باب في الجهمية[29] وباب في الرد على الجهمية[30]، وذكر الأحاديث والآثار في رد معتقدهم ونسفه.

---

[25] - الإيمان، ص: 50

[26] - ينظر، ص:101 وما بعدها.

[27] - ص: 06

[28] - ينظر مثلا: ص12-16

[29] - سنن أبي داود (4/ 231)

وكذلك صنع ابن ماجه في السنن قال: باب: فيما أنكرت الجهمية[31]. وقال :باب: في ذكر الخوارج[32].

وفي تبويبات البخاري في الصحيح ما يدل على مثل هذا في نسف العقائد الباطلة بإقرار العقيدة الصحيحة خاصة في كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

4- كتب خاصة باسم "البدع" : ككتاب البدع والنهي عنها، لمحمد بن وضاح بن بزيع المرواني القرطبي (المتوفى: 286هـ)، فذكر تحذير العلماء من الاعتزال والارجاء.[33] بل صنف بعضهم مصنفات في أحد أركان الايمان لرد مقالات مخالفة للسنة كما صنع الفريابي في كتابه "القدر" وحكى عن الأئمة قولهم ونقضهم وهدمهم والتحذير من نحلة القدرية [34].

المحور الثاني: التأريخ لآراء المتكلمين في كتب التراجم والسير:

إن المحدثين أكثر أهل العلم تصنيفا في التراجم وذكر الأعلام، مع سياق أخبارهم ومناقبهم وفضائلهم، بل ونقل كثير من معتقداتهم وآرائهم الكلامية، سواء تعلق الأمر بكتب النقد والرجال والسؤالات، أو كتب السير والتاريخ والطبقات، ومن أهم المصنفات التي أرخت للآراء الكلامية وأصحابها نوعين من المصنفات:

أولا: كتب السير والطبقات: ومما يستفاد من ذكر تراجم المتكلمين في مصنفات السير والطبقات أشياء منها:

1- معرفة طبقة المتكلمين وعصرهم ووفياتهم، وكذا مصنفاتهم ولو إجمالا.
2- معرفة منزلته بين غيره من نظار أصحابه في المذهب.
3- معرفة مقدار حديثه ومروياته المسندة.
4- معرفة شيئا من أخبارهم ومناظراتهم وتغير آرائهم ومذاهبهم.

ومثاله كما في التراجم الآتية:

ـ أحمد بن يحيى بن عبد العزيز أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم: قال الخطيب:" حدث عن الوليد بن مسلم الدمشقي، ومحمد بن إدريس الشافعي، .. **ثم ساق له خبرا واحدا، ونقل** عن أبي ثور، يقول: كنا نختلف

---

[30] – سنن أبي داود (4/ 234)
[31] – سنن ابن ماجه :(1/ 62)
[32] – مقدمة السنن: 58/1
[33] – ص: 105.
[34] – القدر للفريابي: 255 وما بعدها.

إلى الشافعي ومعنا أبو عبد الرحمن الشافعي، فكان يقول لنا: لا تدفعوا إلى أبي عبد الرحمن يعرض لكم فإنه يخطئ، وكان ضعيف البصر، قال علي بن عمر الدارقطني: أبو عبد الرحمن الشافعي المتكلم البغدادي اسمه أحمد بن يحيى، كان من كبار أصحاب الشافعي الملازمين له ببغداد، ثم صار من أصحاب ابن أبي دؤاد، واتبعه على رأيه"[35].

ـ ثمامة بن أشرس أبو معن النميري أحد المعتزلة البصريين، اتهمه الناس، وله مناظرات وأقوالا في المذهب ساق جملة منها الخطيب البغدادي[36] ، اتهم بسببها بالزندقة.

ـ مقاتل بن سليمان بن بشير، أبو الحسن البلخي قدم بغداد: المتكلم المفسر، كان يبالغ في اثبات الصفات حتى أدى به إلى التشبيه، ونقل عنه أنه يتكلم في الصفات، نقل الخطيب بإسناده عن "أحمد بن سيار بن أيوب، يقول: ومقاتل بن سليمان كان من أهل بلخ تحول إلى مرو، وخرج إلى العراق ومات بها، يكنى: أبا الحسن، وهو متهم متروك الحديث، مهجور القول، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه، وقال أبو حنيفة: أتانا من المشرق رأيان خبيثان: جهم معطل، ومقاتل مشبه"[37].

ـ داود بن علي بن خلف أبو سليمان الفقيه الظاهري أصبهاني الأصل : وهو إمام أصحاب الظاهر، وكان ورعا ناسكا زاهدا، وفي كتبه حديث كثير، إلا أن الرواية عنه عزيزة جدا.

نقل عنه مسائل منها: مسألة خلق القرآن: حدّث أبو عبد الله الوراق المعروف بحوار، قال: كنت أورق على داود الأصبهاني، وكنت عنده يوما في دهليزه مع جماعة من الغرباء، فسئل عن القرآن، فقال: القرآن الذي قال الله تعالى: {لا يمسه إلا المطهرون} وقال: {في كتاب مكنون} غير مخلوق، وأما الذي بين أظهرنا يمسه الحائض والجنب فهو مخلوق قال القاضي: هذا مذهب يذهب إليه الناشئ المتكلم، وهو كفر بالله صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، مخافة أن يناله العدو، فجعل صلى الله عليه وسلم ما كتب في المصاحف، والصحف، والألواح وغيرها، قرآنا والقرآن على أي وجه قرئ وتلي فهو واحد غير مخلوق[38].

---

[35] – تاريخ بغداد (6/ 441)

[36] – تاريخ بغداد 20/8.

[37] – تاريخ الإسلام : (3/ 389).

[38] – تاريخ بغداد: 342/9.

قلت –الذهبي –: هذه التفرقة والتفصيل ما قالها أحد قبله، فيما علمت، وما زال المسلمون على أن القرآن العظيم كلام الله، ووحيه وتنزيله، حتى أظهر المأمون القول: بأنه مخلوق، وظهرت مقالة المعتزلة"[39].

ومن خلال النظر في التراجم السابقة وفي طريقة الأئمة في سياقها يمكن أن نسجل ما يأتي:

- دقة المحدثين المتقدمين في نقل الأخبار والمرويات عن أصحاب الفرق وأرباب الكلام بأسانيد لأنفسهم كما صنع ذلك الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد وغيره كذلك، وتقدم منها أشياء في المحور الأول، وهي سمة بارزة واضحة في كتب السير والتراجم.
- عدم تجاوز الحد في النقل إنما يثبتون عندهم ما صح بالطرق المشهورة المستفيضة أن تلك المقولات هي عن أصحابها.
- العدل والانصاف في التعامل مع أرباب ونظّار تلك المذاهب الكلامية بوصفهم بما يستحقون من الألقاب كقولهم: المتكلم، والمفسر، والإمام، ووصف حالهم من الزهد والنسك، والرواية.

ثانيا: كتب التّاريخ والملل والنحل: وهي كتب التاريخ العام للأحداث، وللرواة والعلوم أيضا، وميزتها انها لا تنقل بالأسانيد إنما تنقل عن المتقدمين في كتبهم، وهي تعنى بالتأريخ لمقالات الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم، وقد اختصت أيضا بنقل مادة علمية ثرة علمية علية عن أرباب المقالات الكلامية، ويظهر ذلك جليا من خلال التراجم الآتية:

- هشام بن الحكم الكوفيّ: الرافضي الحرّار الضّالّ المشبّه، أحد رؤوس الرفض والجدل. قال أبو محمد بن حزم في كتب الملل والنّحل[40] وجمهور المتكلّمين، يعني الرافضة، كهشام بن الحكم، وتلميذه أبي عليّ الضحّاك، وغيرهما تقول بأن علم الله تعالى محدث، وأنّه لم يعلم شيئاً حتّى أحدث لنفسه علماً، قال: وقد قال هشام هذا في مناظرته لأبي الهذيل العلاّف إنّ ربّه سبعة أشبارٍ بشبر نفسه، وهذا كفرٌ صحيح، قال: وكان داود الجواربيّ، من كبار متكلّميهم، يزعم أنّ ربّه لحمٌ ودم على صورة الإنسان، قال: ولا يختلفون أنّ الشمس ردّت على عليّ بن أبي طالب مرتين. قال: ومن قول الإمامية كلّها قديماً وحديثاً إنّ القرآن مبدّل، زيد فيه **ونقص منه كثيراً**"[41].

---

[39] – السير: 100/13.

[40] – لم أقف عليه في كتاب ابن حزم "الملل والنحل" المطبوع، غير أني لم استقص البحث لضيق الوقت.

[41] – تاريخ الإسلام الذهبي: (16/ 436)

- إسماعيل بن علي بن نوبخت: أبو سهل النوبختي، الكاتب المعتزلي. أحد رؤوس الشيعة المتكلمين ببغداد. له مصنفات في الكلام، وردود على ابن الراوندي. وكان كاتباً بليغاً، شاعراً إخبارياً. ... توفي في شوال عن أربع وسبعين سنة"[42].

- علي بن الجعد بن عبيد البغدادي : قال الذهبي: " (خ، د) الإمام، الحافظ، الحجة، مسند بغداد، أبو الحسن البغدادي، وقال فيه مسلم: هو ثقة، لكنه جهمي، وقلت: ولهذا منع أحمد بن حنبل ولديه من السماع منه، **وقد كان طائفة من المحدثين يتنطعون في من له هفوة صغيرة تخالف السنة، وإلا فعلي إمام كبير، حجة، يقال: مكث ستين سنة يصوم يوما، ويفطر يوما**، وبحسبك أن ابن عدي يقول في (كامله) : لم أر في رواياته حديثا منكرا إذا حدث عنه ثقة"[43].

قلت: وهذا عين الإنصاف من الذهبي لعلي بن الجعد.

وكذلك نقل الحافظ المحدث أبو محمد ابن حزم الكثير من مقالات وآراء المتكلمين في كتابه الملل والنحل، وهو أصل في بابه، ويعد ابن حزم من أئمة الحديث وحفاظه، ومن المؤرخين أيضا ممن يحتج بنقله في هذه النحل والمقالات.

ولعل ما يميز منهج المحدّثين المؤرخين في نقلهم عن أهل الفرق الكلامية -إضافة إلى ما سبق ذكره وتقريره - بأشياء قلّ أن وجودها عند غيرهم من المؤرخين و ممن كتب في الملل والنحل ، منها: النقل عن المتخصصين في الفرق الكلامية والعقائد كما صنع الذهبي في نقله عن ابن حزم الظاهري في ترجمة هشام بن الحكم.

وكذلك بيان جهودهم – المتكلمين- في الدفاع عن الإسلام من الزنادقة والكفرة الملحدين كما في ترجمة الذهبي لإسماعيل بن علي بن نوبخت.

[42] - تاريخ الإسلام: (23/ 409).

[43] - سير أعلام النبلاء : (10/ 466).

الخاتمة:

وبعد بحث هذا الموضوع والنظر فيه يمكن أن نسجل النتائج الآتية:

1- إن جهود المحدّثين في نقل تراث الأمة وعلوم أعلامها بمختلف أصنافهم ومراتبهم وتوجهاتهم العقدية والفكرية واضحة بيّنة.

2- قد كان للمحدّثين عدة مسالك في توثيق ونقل آراء المتكلمين أبرزها مسلكين اثنين:

الأول: تصنيف مؤلفات خاصة بالعقيدة إما تقريرا لها أو نقضا للعقائد الباطلة.

الثاني: رصد أراء وأخبار المتكلمين من خلال كتب التراجم والسير والتاريخ.

3- أفاد البحث أن المحدّثين كان لهم الدور البارز والبصمة الواضحة في نقل كلام بعض الفرق الكلامية التي اندثرت كتبها أو حرقت أو ضاعت مع نوائب الدهر، ثم نقضها وردها.

4- كان لزاما على أئمة الحديث في نقض عقائد الفلاسفة والمتكلمين نقل أقوالهم بدقة منتاهية وأمانة عالية.

5- أثبت البحث أن المحدّثين كانوا على اطلاع واسع بالمذاهب والفرق حتى إنهم رصدوها ووثقوا أراءها بأسانيد في كتبهم، وهم من أرباب النقل بالإسناد.

6- أفاد البحث أن أئمة الحديث كان لهم منهجا في التعامل مع آراء المتكلمين نقلا وتوثيقا، يميزهم عن غيرهم وهو عدم بخس الناس حقوقهم ومنازلهم فقد وشحوا المتكلمين النظار بألقاب لها وزنها ومكانتها كالمفسر، والإمام، والزاهد، وغيرها.

7- تميز المحدّثون بالنقل عن المتخصصين في الفرق الكلامية والعقائد، أو من أفواه نظار الفرق أثناء المناظرات والمناقشات أو عن ثقات المحدثين.

8- وإن كان من توصية فيلزم من الباحثين أهمية الوقوف على جهد المحدثين في تصفية الدخيل المنقول عن بعض الفرق باستعمال منهجهم وطريقتهم في نقد الأخبار والآثار.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، ت: عمر بن محمود أبو عمر: دار الراية، الطبعة: الأولى 1412 هـ - 1991 م.
2. الإرشاد في معرفة علماء الحديث: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: 446هـ) ت: د. محمد سعيد عمر إدريس: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، 1409

3. الأنساب : عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (المتوفى: 562هـ) ت: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة: الأولى، 1382 هـ - 1962 م
4. الإيمان لابن سلام (معالمه وسننه واستكماله ودرجاته): تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة : الأولى - 1421 هـ -2000 م .
5. البدع والنهي عنها: محمد بن وضاح القرطبي، ت : محمد أحمد دهمان، دار الصفا: القاهرة ،الطبعة الأولى: 1411هـ ، 1990م.ت: عبد العزيز عز الدين السيروان، دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، 1408
6. تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)ت: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 2003 م
7. تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2002 م
8. تاريخ دمشق: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ)ت: عمرو بن غرامة العمروي: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع: 1415 هـ - 1995 م
9. التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل: أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد - السعودية – الرياض، الطبعة : الخامسة ، 1414هـ - 1994م
10. الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن: أبو الحسن عبد العزيز بن يحيى بن مسلم بن ميمون الكناني المكي (المتوفى: 240هـ)ت: علي بن محمد بن ناصر الفقهي: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1423هـ/2002م
11. خلق أفعال العباد : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى : 256هـ): د. عبدالرحمن عميرة: دار المعارف السعودية – الرياض.
12. الرد على الجهمية والزنادقة: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ): صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى.
13. سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر - بيروت
14. سنن أبي داود: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني: دار الكتاب العربي . بيروت.
15. سير أعلام النبلاء : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذَهَبيت: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
16. العقيدة رواية أبي بكر الخلال: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ) عبد العزيز عز الدين السيروان: دار قتيبة – دمشق، الطبعة: الأولى، 1408.
17. فتح الباري شرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، 1379م
18. القدر: أبو بكر جعفر بن محمد بن الحسن بن المسْتَفاض الفِرْيابِي (المتوفى: 301هـ)ت: عبد الله بن حامد المنصور، أضواء السلف، الطبعة: الأولى 1418 هـ - 1997م

19. مقدمة السنن: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي دار الفكر – بيروت.
20. من عقائد السلف (الرد على الجهمية): أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن مَنْدَه العبدي (المتوفى: 395هـ)ت: علي بن محمد بن ناصر الفقيهي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.
21. نَقْضُ الإِمَامِ أَبِي سَعِيدٍ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ عَلَى المرِيْسِيِّ الْجَهْمِيِّ العَنِيدِ فِيْمَا افْتَرَىَ عَلَى اللهِ – عز وجل – مِنَ التَّوْحِيدِ: أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي السجستاني (المتوفى: 280 هـ)ت: أَبُوْ عَاصِم الشَّوَامِيُّ الأَثَرِي: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر، الطبعة: الأولى، 1433 هـ - 2012 م.
22. الكامل في ضعفاء الرجال: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: 365هـ)ت: عادل أحمد عبد الموجود–علي محمد معوض، الكتب العلمية – بيروت–لبنان، الطبعة: الأولى، 1418هـ1997م